https://jsrhs.rcc.edu.ly/
ISSN: 3078-4611
Vol.3 No.1 (2026), 344- 354
Article history:
Received:01/01/2025
Accepted:24/05/2025
Published:26/05/2025

مجلة البحوث المستدامة في العلوم الإنسانية

JSRHS

الترادف بين المنكرين والمعترفين وحاجة المستخدمين

زينب صبري حمدون قرواش

عضو هيئة تدريس بكلية الآداب قسم اللغة العربية وآدابها جامعة مصراتة

https://orcid.org/0009-0005-6999-8467

z82gerwash@gmail.com

https://doi.org/10.36602/jsrhs.2026.1.20

الملخص:

يدرس البحث موضوع الترادف كظاهرة من ظواهر اللغة العربية، ويقدم آراء علماء العربية الأوائل والمحدثين حول هذه الظاهرة عن طريق المنهج الوصفي التحليلي، حيث انقسموا إلى منكرين لوجودها، ومعترفين بها، وبالتالي يعرض البحث أهمية الترادف وأسباب وقوعه ومدى حاجة مستخدمي اللغة إليه، وصولا إلى الهدف المتمثل في إثبات وجود الترادف في اللغة العربية والرد على منكريه بالأدلة والبراهين، وبيان دوره في نمو مفردات اللغة ومعانيها.

الكلمات المفتاحية: ظاهرة، الترادف، المنكرين، المعترفين، ظواهر ، لغوية

Synonymy Between Deniers and Recognizers and the Needs of Users

Abstract:

This research studies synonymy as a phenomenon of the Arabic language ,and presents the views of Arabic scholars: early and modern Arab scholars on this phenomenon who were divided between those who denied its existence and those who acknowledged it, Therefore this research explores the importance of synonymy the reasons for its occurrence and the extent to which language users need it this leads to proving the existence of synonymy in the Arabic language refuting its deniers with evidence, and proofs and demonstrating its role in the growth of the language,s vocabulary and meanings.

Keywords: Phenomenon, Tandem, Deniers, Confessors, Phenomenology, Linguistic.

1. المقدمة:

تزخر اللغة العربية بالعديد من الظواهر اللغوية التي تجعلها مميزة عن غيرها من اللغات، ولعل الترادف يعد ظاهرة من تلك الظواهر التي ساعدت في نمو اللغة، وزيادة مفرداتها وتنوع معاجمها، كما أن هذه الظاهرة تعطي مساحة واسعة لمستخدمي اللغة وذلك من خلال استعمالهم لكثير من المفردات التي تؤدى المعنى نفسه مما يسهل عليهم الإلقاء، والكتابة، والتحدث دون تقييد أو تضييق، وإن كان بعض العلماء قد اختلفوا حول وجود هذه الظاهرة في اللغة العربية، فبعضهم يعترف بوجودها، والآخر ينكر ذلك ويرى أن لكل لفظ معنى خاصاً به لا يفيده غيره، ولا يشاركه فيه سواء أكان هذا المعنى لغوياً، أم معنى اللفظ داخل السياق، ومهما يكن من أمر هذا الاختلاف فسوف أسلط الضوء من خلال هذا البحث على هذه الظاهرة وسأطرح الآراء بهذا الخصوص، في محاولة للإلمام بأغلب النقاط المهمة التي تشملها ظاهرة الترادف.

وتركز النقطة البحثية التي يركز عليها هذا البحث في طرح التساؤل حول أهمية الترادف وهل نحن بحاجة للمفردات المترادفة؟ وما المعيار في قبول هذه الظاهرة أو رفضها؟

2. أسباب اختيار موضوع البحث: أردت من خلال هذا البحث أن أبرز أهمية الترادف، ودور التبادل بين المفردات المترادفة في أداء المعنى نفسه، والوقوف على الحاجة إليه سواء في لغة الاستعمال اليومي، أو اللغة الإبداعية.

3. هدف البحث:

التدليل على وجود هذه الظاهرة بحيث لا يمكن إنكارها، والرد على منكري الظاهرة بتقديم تصور واضح عن حضورها في لغتنا.

4. أهمية الدراسة:

تسعى الدراسة إلى تقديم تصور واضح عن حاجة مستخدمي اللغة إلى الترادف ومدى أهميته في إغناء اللغة بالمفردات.

5. المنهج المتبع:

اقتضت طبيعة البحث السير وفقا للمنهج الوصفي التحليلي، وذلك باستقراء الظاهرة (موضوع البحث) ومن ثم تتبع الآراء حولها ووصفها وتحليلها من حيث استخدامها وصولا للنتيجة المرجوة.

6. صعوبات البحث:

تتمثل صعوبة البحث في اتساع موضوع الترادف وعدم قدرة البحث على الإلمام بكل تفاصيله، وبكل الآراء التي درست هذه الظاهرة.

7. وجود الترادف في اللغة:

تجدر الإشارة أولا إلى التعريج على السبب المنطقي وراء الجدل الحاصل بين علماء اللغة قدامى ومحدثين حول وجود الترادف في اللغة، وهذا السبب يتمثل في الصراع بين العلماء حول العلاقة بين اللفظ والمعنى، وقد تناول كثير من علماء العربية القدامى دراسة قضية اللفظ والمعنى، حيث كانت من ضمن اهتمامات الفلاسفة والفقهاء واللغويين والأدباء والنقاد، وقد أرجع كثير من الباحثين السبب وراء اهتمام الفقهاء والمفسرين بقضية اللفظ والمعنى إلى حاجتهم لفهم معاني القرآن الكريم، ومن ثم إصدار الأحكام الشرعية التي تمس حياة المسلم، ومن ثم تجد كتب المفسرين والفقهاء، غالبا ما تبدا بدراسة اللفظ والمعنى انطلاقا من الصلة القائمة بين اللغة وبين فروع المعرفة الإنسانية (عكاشة، 2002).

ولما كانت العلاقة بين اللفظ والمعنى قائمة لا محالة نتجت عنها ألفاظ تعبر عن معنى واحد، و معان عدة للفظ واحد، والأول سمي بالترادف، أما الآخر فسمي بالمشترك اللفظي، ومن ثم تعددت الألفاظ وتعدد المعاني، ومن هذا المنطلق يرى بعض الباحثين المحدثين أن اللغة العربية قادرة على استيعاب اللفظ والمعنى ومن هنا يمكن القول إن كل لفظ يمكن أن يكون معنى، وكل معنى يمكن أن يكون لفظا "فهذه حقيقة واقعة في لغتنا العربية التي يختلف منطقها عن منطق العقل الذي يقضي بأن يكون للمعنى الواحد لفظ واحد والعكس صحيح غير أنه منطق اللغة فهي أحيانا تضع للفظ الواحد معان متعددة، كما أنها جعلت للمعنى الواحد ألفاظا كثيرة " (الشيخ، 1999، ص 41-42)، وهنا يمكن القول إن الحاجة والاستعمال هما العنصران الأساسيان في ظهور الترادف وغيره من الظواهر اللغوية وفي هذا الصدد ننقل كلام قطرب إذ يقول "إنما أوقعت العرب اللفظتين على المعنى الواحد ليدلوا على اتساعهم في كلامهم كما زاحفوا في أجزاء الشعر ليدلوا على أن الكلام واسع عندهم وأن مذاهبه لا تضيق عليهم عند الخطاب والإطالة والإطناب" (السيوطي، 1986، ج1، ص400)، يتحدث قطرب في هذا النص عن الترادف، ومعنى قوله(أوقعت) يعني أن المتكلم العربي (استعمل) فالاستعمال يعد عنصرا أساسيا في

ظهور الترادف، وفي قوله: "ليدلوا على اتساعهم في كلامهم ... إلخ" يتضمن مفهوم الحاجة والتي تمثل العنصر الآخر الذي أدى إلى ظهور ظاهرة الترادف.

وقد درس سيبويه (1988،ج1، ص24) في كتابه قضية اللفظ والمعنى تحت باب(اللفظ للمعاني) وأوضح علاقتهما ببعض الظواهر اللغوية يقول في ذلك: "اعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظتين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظتين والمعنى واحد، واتفاق اللفظتين واختلاف المعنيين ... فاختلاف اللفظتين لاختلاف المعنيين نحو: جلس وذهب، واختلاف اللفظتين والمعنى واحد نحو: ذهب وانطلق، واتفاق اللفظتين والمعنى مختلف قولك: وجَدتُ عليه من المَوْجِدة، ووَجَدْتُ إذا أردت وجدان الضّالة، وأشباه هذا كثير"، فهذا النص لم يصرح فيه سيبويه بأي مصطلح من مصطلحات الظاهر اللغوية التي اشتمل عليها، ولكنه فيه تصريح واضح باستعمال العرب في كلامها للتباين، وللترادف، والمشترك اللفظي، ويتضح فيه أيضا العلاقة القائمة بين اللفظ والمعنى.

8. مفهوم الترادف لغة واصطلاحاً:

1.8 الترادف لغة:

جاء في معجم مقاييس اللغة:" ردف: الراء، والدال، والفاء، أصل واحد مطرد يدل على اتباع الشيء، فالترادف التتابع" (ابن فارس، 1979، ج2، ص503) ويقول صاحب المفردات في غريب القرآن:" الردف التابع ... والترادف التتابع والرَادِفُ المتأخر والمُرْدِف المتقدم الذي أَرْدَفَ غَيْرَه" (الأصفهاني، بدون، ص 193) ويقول ابن منظور (بدون، ج9، ص114) "ردف: ما تَبِع الشيءَ، وكل شيء تبع شيئاً فهو رِدْفُه".

فتلاحظ أن جل المعاني اللغوية التي دَلَّ عليها الترادف تدور حول معنى التتابع، وهذا يعني أن المفردات المترادفة تتبع بعضها بعضا في المعنى؛ ولهذا أُطلق عليها مفردات مترادفة.

8. 2 مفهوم الترادف في اصطلاح أهل اللغة:

لعل أبرز تعريف للترادف هو ما نقله السيوطي (1986، ج1، ص402) عن الفخر الرازي الذي يقول فيه: "هو الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد"، ثم يفصل التعريف بقوله: "واحترزنا بالإفراد عن الاسم والحد فليسا مترادفين، وبوحدة الاعتبار عن المتباينين كالسيف والصارم فإنهما دلا على شيء واحد ولكن باعتبارين أحدهما الذات والآخر الصفة، والفرق بينه وبين التوكيد أن أحد المترادفين يفيد ما أفاده الآخر كالإنسان والبشر، وفي التوكيد يفيد الثاني تقوية الأول. والفرق بينه وبين التابع أن التابع وحده لا يفيد شيئاً كقولنا: عطشان نطشان" (السيوطي، 1986، ج1، ص403) ويبدو أنه أراد بالتابع الألفاظ المتلازمة.

أما فيما يخص تعريف الترادف عند المحدثين فلعل أبرز ما توصلت إليه هو تعريف أُلمان (1962، ص98) الذي يقول فيه عن المترادفات: " ألفاظ متحدة المعنى قابلة للتبادل فيما بينها في أي سياق"، وهنا يؤكد ألمان على أن السياق هو الذي يحدد اختيار المفردة المناسبة، فبامكان مستخدم اللغة أن يختار المفردة بحسب ما يحتاجه سياق الموقف، أو الحال، أو النص وربما تلاحظ وجود علاقة بين المعنى اللغوي للترادف والمعنى الاصطلاحي، فكلاهما يدل على التتابع والتوالي.

وقد أشار بعض الباحثين المحدثين إلى تأخر ظهور مصطلح الترادف عند علماء العربية، فمع الظهور المبكر للظاهرة ومعرفة العلماء بها، إلا أن مصطلح الترادف لم يظهر إلا حوالي القرن الثالث الهجري، ولعل أقدم نص لغوي وصل إلينا يحمل هذا المصطلح صراحة هو ما نُقل عن ثعلب (ت 291هـ)، وذلك عند إنكاره للترادف (الزيادي، 1980، ص34)، حيث نقل التاج السبكي في شرح المنهاج ـ فيما ذكر السيوطي ـ قوله: "ذهب بعضُ الناس إلى إنكار الترادف في اللغة العربية ، وزعم أن كل ما يُظن من المترادفات فهو من المتباينات التي

تتباين بالصفات، كما في الإنسان والبشر، فإن الأول موضوع له باعتبار النسيان، أو باعتبار أنه يُؤنِس، والثاني باعتبار أنه بادى البشرة ... وتكلف لأكثر المترادفات بمثل هذا المقال العجيب وقد اختار هذا المذهب أبو الحسين أحمد بن فارس في كتابه الذي ألفه في فقه اللغة والعربية وسنن العرب وكلامها، ونقلها عن شيخه أبي العباس ثعلب" (السيوطي، 1986، ج1، ص403).

فإذا نظرنا إلى النص السابق يفهم أن النص منسوب إلى ثعلب وهذا ما يدل عليه قوله: (نقله عن شيخه أبي العباس ثعلب) ويمكن القول إن الظاهرة تسبق ظهور المصطلح.

9. آراء العلماء حول وجود الترادف في اللغة العربية:

1.9 رأي العلماء القدامى:

ذهب الدكتور إبراهيم أنيس إلى القول بأن الخلاف حول ظاهرة الترادف لم يظهر بين علماء العربية في القرن الثاني الهجري، بل كانوا يسلمون بوجوده في اللغة ولا يرونه محلا للنزاع (أنيس، 1992، ص174)، وقد بنى أنيس رأيه على نص لأبي زيد الأنصاري يقول فيه: " قلت لأعرابي: ما المُحْبَنْطىء؟ قال: المتكأكىء، قلت: ما المتكأكىء؟ قال: المتآزف، قلت، ما المتآزف؟ فسئم الأعرابي من مساءلته وقال له: أنت أحمق" (السيوطي، 1998، ج1، ص413). فمن خلال نص أبي زيد يرى الدكتور أنيس (1992، ص174) بأن هذا العالم لا يجد غضاضة في أن يعبر عن المعنى الواحد بأكثر من لفظ، ويؤمن أن الأعرابي قد يحتفظ في ذاكرته بألفاظ عديدة ليعبر عن معنى واحد.

انقسم العلماء قديماً فيما يخص ظاهرة الترادف إلى فريقين، فريق يعترف بوجود ظاهرة الترادف، ويفخر بحفظه لكثير من الألفاظ المترادفة ولعل أبرزهم، سيبويه (ت 180ه) وقد تحدث عن الترادف في (باب اللفظ للمعاني) وهذا ما يفهم من قوله: "اعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظتين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظتين والمعنى واحد، واتفاق اللفظتين واختلاف المعنيين"، حيث يتحدث هنا عن الألفاظ المتباينة، والمترادفة، والمشترك اللفظي، (سيبويه، 1988، ج1، ص24) والأصمعي (ت 216ه) الذي ألف كتاباً في هذه الظاهرة بعنوان (ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه)، ومنهم أيضاً ابن السكيت (ت 244ه) وذلك في كتابه الألفاظ، وعبد الرحمن الهمذاني (ت 327ه) وله في هذا كتاب بعنوان(الألفاظ الكتابية)، وقدامة بن جعفر (ت337 ه) وجاء كتابه في الترادف بعنوان (جواهر الألفاظ) (الضامن، 1990، ص65) وابن خالويه (ت 370ه) الذي يصرح بحفظه خمسين اسماً للسيف، وألف كتباً خصها لأسماء معينة تحمل معنى واحداً، فألف في أسماء الأسد، وألف في أسماء الحية (السيوطي، 1998، ج1، ص407)، وأبو الحسن الرماني (ت384ه) الذي ألف في هذا الجانب كتاباً بعنوان(الألفاظ المترادفة) (الضامن، 1990، ص65) وابن جني (ت392ه) حيث تحدث عنه في خصائصه تحت عنوان "باب في تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني" (ابن جني، 1385،ج2، ص115)، وتحت عنوان " باب في إيراد المعنى المراد بغير اللفظ المعتاد" (ابن جني، 1385، ج2، ص468)، ومن هؤلاء كذلك الفيروزآبادي (ت817ه) وله في الترادف كتاب بعنون (الروض المسلوف فيما له اسمان إلى أُلوف) (السيوطي، ج1، ص407).

ويذكر ابن فارس (1993، ص98) حجة هذا الفريق حيث يقول "لو كان لكل لفظة معنى غير معنى الأخرى لما أمكن أن يعبر عن شيء بغير عبارته وذلك أنا نقول في "لا ريب فيه" "لا شك فيه "فلو كان" الريب" غير "الشك" لكانت العبارة عن معنى الريب بالشك خطأ، فلمّا عُبر عن هذا بهذا علم أن المعنى واحد".

ومن ذلك قولهم إن الاسمين المختلفين يستعملان في الشعر بمعنى واحد في مكان واحد لغرض التأكيد والمبالغة من ذلك مثلا قول الحطيئة (1993، ص71):

وهند أتى من دونها النأي والبُعدُ

فالنأي هو البعد، وذكر اللفظتين وهما بمعنى واحد إنما هو من باب تأكيد المعنى.

ثم يرد ابن فارس (1993، ص98–99) على هؤلاء بقوله:" إن في قعد معنى ليس في جلس"، فنقول مثلا: قام ثم قعد، ونقول " كان مضطجعاً فجلس" وبذلك تستعمل القعود عن القيام، وتستخدم الجلوس عن حالة هي دون الجلوس"، وأقول صحيح أن بعض المفردات لها في العربية استعمالات دقيقة بحسب ما يقتضيه الحال وسياق الكلام، لكن إن قال أحدنا لمن كان قائما(اجلس) سيفهم ذلك وخاصة مع تطور الدلالة و طغيان بعض المفردات والمعاني على بعض، واستعمال بعضها مكان الآخر، ذلك أن اللغة كائن حي يتصف بالمرونة وعدم الجمود وإذا قيدت مفرداتها ضمن استعمال معين أصيحت جامدة وميتة وفي ذلك من التضييق على أهل اللغة ما فيه، سواء أكانوا من العامة أو من خاصة الأدباء والكتاب والشعراء.

أما الفريق الذي أنكر هذه الظاهرة فأبرز من يمثله: ابن فارس (ت395هـ)، وشيخه ثعلب (ت291هـ)، يقول ابن فارس في ذلك:" يسمى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة، نحو: السيف، والمهند، والحاسم، والذي نقوله في هذا: إن الاسم الواحد هو السيف، وما بعده من الألقاب صفات ومذهبنا أن كل صفة منها فمعنها غير معنى الأخرى ... وكذلك الأفعال نحو: مضى، وذهب وانطلق وقعد وجلس ورقد ونام وهجع، قالوا: ففي قعد معنى ليس في جلس وكذلك القول فيما سواه وبهذا نقول وهو مذهب شيخنا أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب" (ابن فارس، 1993، ص99).

وممن ينتمي إلى فريق المنكرين أبو علي الفارسي (ت377هـ)، حيث ينقل السيوطي في كتابه المزهر عن أحد العلماء أنه نقل عن أحدهم ما رواه أبو علي الفارسي عن نفسه قائلاً:" كنت بمجلس سيف الدولة بحلب، وبالحضرة جماعة من أهل اللغة، وفيهم ابن خالويه، فقال ابن خالويه: أحفظ للسيف خمسين اسماً فتبسم أبو علي وقال: ما أحفظ له إلا اسماً واحداً وهو السيف، قال ابن خالويه فأين المهند والصارم وكذا وكذا؟ فقال أبو علي: هذه صفات. وكأن الشيخ لا يفرق بين الاسم والصفة" (السيوطي، 1986، ج1، 405).

وممن أنكر الترادف أبو هلال العسكري (ت395هـ)، فهو يرى أن الشاهد على أن اختلاف العبارات والأسماء يوجب اختلاف المعاني أن الاسم كلمة تدل على معنى دلالة الإشارة، وإذا أُشير إلى الشيء مرة واحدة فعرف فالإشارة، إليه ثانية وثالثة غير مفيدة، وأن واضع اللغة لا يفوته ذلك، فهو لا يأتي فيها بما لا يفيد فإن أُشير منه في الثاني والثالث إلى خلاف ما أشير إليه في الأول كان ذلك صواباً وفي هذا دلالة على أن كل اسمين يجريان على معنى من المعاني وعين من الأعيان في لغة واحدة فكل واحد منهما يقتضي خلاف ما يقتضيه الآخر وإلا كان الثاني فضلاً لا يُحتاج إليه (العسكري، بدون، ص22).

وهذا الفريق يرى أن ما يسميه غيرهم ترادفاً إنما هو من باب التباين الذي تتباين فيه الألفاظ بالصفات.

وينقل السيوطي عن أحد العلماء (الشيخ عزالدين)، رأياً وسطاً في هذه الظاهرة، فهو يرى أن من حكم على الترادف بالتحقيق نظر إلى اتحاد دلالة الألفاظ على الذات، أما من رفض هذه الظاهرة فنظر إلى اختصاص بعضها بمزيد معنى؛ وبذلك فهي تشبه المترادفة في الذات والمتباينة في الصفات، وقد صرح بعض المتأخرين بأن يكون هذا قسماً مستقلاً واطلق عليه اسم المتكافئة، وهؤلاء يرون أن أسماء الله– عز وجل– وأسماء الرسول–ﷺ– من هذا النوع .وذهب الأصفهاني إلى القول بأن يحمل كلام من منع على منعه في لغة واحدة ، فأما في لغتين فلا ينكره عَاقل (السيوطي، 1986، ج1، ص405). ويبدو أن كلام الأصفهاني مقبول كمبرر للفريق الذي أنكر ظاهرة الترادف، فقد بحث لهم عن مخرج فيما يتعلق بإنكار الظاهرة بصفة عامة، وخص ذلك باللغة الواحدة.

أما عن رأي السيوطي (ت911هـ) في هذه الظاهرة فالظاهر أنه لا يرفضها سواء أكانت في لغة واحدة أم في لغات مختلفة وإن لم يصرح بذلك فهو كعادته في كثير من الأبواب التي طرحها في كتابه المزهر، إذْ ينقل الآراء التي يتوصل إليها في مسألة ما أو حول ظاهرة ما، وكأنه يريد طرح الآراء فقط للقارئ دون أن يؤثر على رأيه برأيه والذي جعلنا نقول بقبوله لهذه الظاهرة أنه جاء بعد ذكره للآراء بعنوان (ذكر أمثلة من ذلك) (السيوطي، 1986، ج1، ص407) فهو يورد أمثلة للترادف وربما ما يقوي زعمنا هذا قوله" قلت: ما استوفى أحد مثل هذا الاستيفاء، ومع ذلك فقد فاته بعض الألفاظ أنشد القالي في أماليه:

وَلَذّ كطَعْمِ الصرْخَدِيّ تَرَكْتُهُ

وقال: الصّرْخَدِي: العسل كذا قاله أبو المياس، وقال ابن دُريد الصَّرْخَدِي: الخمر" (السيوطي، 1986، ج1، ص409).

فهذا القول من السيوطي يكاد يكون تصريحاً منه بوجود هذه الظاهرة في العربية، فتفسير المعاني ببعضها البعض يدل دلالة واضحة على وجود الترادف وإنكار وجوده مطلقا يعد تعسفا وضربا من البعد عن الواقع الاستعمالي للغة، ولعل من الأدلة على ذلك ما روي عن واصل ابن عطاء في خطبته المشهورة الخالية من صوت (الراء)، إذ استطاع أن يستخدم مفردات خالية من صوت الراء، فاشتهرت خطبته لهذا السبب (صفوت، بدون، ج2، ص501)، فدل ذلك على وجود المترادفات وأنه يمكن استبدال مفردة بأخرى بحيث تؤدي المعنى نفسه دون تضييق أو تحرّج.

9. 2 آراء علماء اللغة المحدثين:

عرض بعض الباحثين المحدثين ممن درسوا العربية وتخصصوا فيها آراءهم في الترادف ولعل أبرزهم:

1. الدكتور علي الجارم: حيث ذهب إلى القول بوجود الترادف في العربية وأن لا سبيل لإنكاره، مع عدم المبالغة في ذلك؛ لأن بعض المترادفات إنما هي صفات (النادري، 2009، ص 303).

2. الدكتور إبراهيم أنيس: حيث يرى أن أغلب العلماء المحدثين يجمعون على إمكان وقوع الترادف في أي لغة من لغات البشر، ولكنهم يشترطون شروطاً معينة ليتحقق الترادف بين المفردات (أنيس، 2002، ص 154).

وقد ذهب الدكتور أنيس (2002، ص157) إلى انتقاد بعض العلماء القدامى الرافضين لوقوع الترادف حيث رأى أن بعض هؤلاء ممن أنكر الترادف . كانوا من فئة الأدباء النقاد الذين يبحرون في مخيلاتهم باحثين عن معان لا يراها غيرهم، منقبين عما وراء المدلولات.

وأظن أن في الانتقاد شيء من التجوز، فكما نجد من بين الرافضين للترادف أدباء، نجد بينهم لغويين نحاة، كأبي علي الفارسي، وابن فارس وغيرهم، ولا أظن أن مثل هذا السبب جدير بأن يكون دافعاً قوياً لرفضهم هذه الظاهرة.

وذهب الدكتور أنيس إلى القول بوجود الترادف في القرآن الكريم، وأنه لا معنى لمغالاة بعض المفسرين حين يلتمسون في كل لفظ من ألفاظه شيئاً لا يرونه في نظرائه من الألفاظ الأخرى (أنيس، 2002، ص156).

ومع عدم رفضي لهذه الظاهرة إلا أنني أظن أن تناول النص القرآني بالدراسة والبحث عن الظواهر اللغوية فيه له خاصيته، فللنص القرآني قداسته ولكل مفردة فيه معنى ودلالة تختلف عن الأُخرى، وهذا ما أشار إليه بعض العلماء قديماً أمثال الاصفهاني (بدون، ص6) في كتاب المفردات في غريب القرآن، يقول في ذلك:" يعرف اختصاص كل خبر بلفظ من الألفاظ للترادف دون غيره من أخواته نحو ذكره القلب مرة والفؤاد مرة ونحو ذلك مما بعده من لا يحق الحق ويبطل الباطل أنه باب واحد فيقدر أنه إذا فسر الحمد لله بقوله الشكر لله، ولا ريب فيه بلا شك فيه فقد فسر القرآن و وفاه التبيان".

كما تكلم عن هذا الجانب الزركشي (بدون، ج4، ص78) في كتابه البرهان تحت عنوان:" في ألفاظ يُظنّ بها الترادف وليست منه "يقول في ذلك ولهذا وُزِّعَتْ بحسب المقامات فلا يقوم مرادفها استعمل فيه مقام الآخر، فعلى المفسر مراعاةُ الاستعمالات والقطع بعدم الترادف ما أمكن؛ فإن للتركيب معنى غير معنى الإفراد ولهذا مَنَع كثير من الأصوليين وقوع أحد المترادفين موقع الآخر في التركيب وإن اتفقوا على جوازه في الافراد". أي أن المفردات وهي خارج السياق ربما أعطت معنى واحداً؛ ولكنها إذا دخلت السياق كان لكل واحدة معنى خاص بها لا تؤديه مفردة غيرها وخاصة في النصوص الأدبية، وبالأخص فيما يتعلق بالنص القرآني، وقد تناول الزركشي كثيراً من المفردات الواردة في القرآن الكريم والتي يمكن أن تكون بذات المعنى في ظاهرها وهي مفردة ولكن في حقيقة الأمر هناك فروق دقيقة بينهما، ويمكن أن نأخذ مثلا لفظتي" الخوف" و" الخشية" فلا يكاد لغوي يفرق بينهما، غير أن الخشية أَعْلَى من الخَوف وأشد منه، وهي مأخوذة من قولهم: شجرة خشيّة بمعنى يابسة؛ أما الخوف فمأخوذة من قولهم: ناقة خَوْفاء بمعنى أنها مصابة بداء، كما أن الخشية تكون من عظِمِ المخشي، وإن كان الخاشي قوياً والخوف يكون من ضعف الخائف (الأصفهاني، بدون، ج4، ص78)؛ ولذلك خُصّت الخشية بالله تعالى في قوله تعالى: ﴿ويخشون ربهم ويخافون سُوءَ الحِساب﴾ (الرعد، 21)، والأمثلة على ذلك كثيرة(الأصفهاني، بدون، ج4، ص78وما بعدها).

3. ومن المحدثين القائلين بالترادف الدكتور صبحي الصالح، وهو بهذا يُقِرّ بوجود الترادف في القرآن الكريم، فهو يرى أن لا غضاضة في أن يستعمل القرآن الألفاظ الجديدة المقتبسة إلى جانب الألفاظ القرشية الخالصة القديمة، وبهذا نفسر ترادف "أقسم" و"حلف" في قوله تعالى: ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم﴾ (النور، 53)، وقوله تعالى: ﴿يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كَلِمَة الكفر﴾ (التوبة، 74).

ومفهوم كلامه أن بعض المفردات الواردة في النص القرآني ونزلت في آية بلفظ، وفي أخرى بلفظ آخر وهما في الواقع بمعنى واحد، إنما الاختلاف اللفظي راجع فيها للهجات، فهي مترادفات.

4. رأي الدكتور أحمد مختار عمر: يرفض الدكتور أحمد عمر ما يسمى بالترادف فالترادف الموجود، وهو التام الذي يتمثل في تبادل اللفظين في جميع السياقات وفي مستوى واحد، وفترة زمنية واحدة وعند جماعة لغوية واحدة، ويرى أنه متى أمكن التبادل بين اللفظين في بعض السياقات موجود مع الكلمات التي نعجز عن بيان الفرق الدقيق في المعنى بينها كما في يثب ويقفز ويجري ويعدو ومضيء ومنير (عمر، 1998، ص227-230).

فتلاحظ أن الدكتور أحمد مختار يجعل السياق هو المحدد لاستعمال اللفظة بحيث لا يمكن استخدام مفردة محل مفردة أُخرى؛ إذْ يؤدي ذلك إلى اختلاف المعنى ضمن سياق معين، ويجعل من المستوى الثقافي والاجتماعي دور في تجديد المفردة المستعملة ذلك أن اللفظة تحمل عادة دلالة اجتماعية وثقافية نحو: حرمُه وزوجته وامرأته، وكذلك يجعل من عنصر الزمن مهماً في جعل الكلمة مرادفة أو لا تدخل ضمن دائرة الترادف، فإذا كانت اللفظتان تنتميان إلى فترة زمنية واحدة فلا ترادف بينهم، أما في حال تغير استعمال اللفظة من زمن لآخر ولكنها تحمل المعنى ذاته فيمكن أن تدخل في الترادف، كما أنه يجعل من عنصر الانتماء إلى جماعة لغوية واحدة مانعاً لحدوث الترادف، فالمفهوم المخالف لهذا أن اللفظتان متى انتميتا إلى جماعة لغوية مختلفة أمكن تحقق الترادف بينهما.

وأكتفي بهذه الآراء بالنسبة للمحدثين؛ لأن البحث في هذا المجال يطول، وإنما أردت أن أطرح أبرزها وأكثرها شيوعاً؛ للتدليل على وجود الترادف.

10. أسباب وقوع الترادف:

للترادف أسباب تؤدي إلى وقوعه وقد ذكرها السيوطي (1986، ج1، ص405-406) وتعد أسباباً أساسية، وهذه الأسباب تتمثل في:

1. أن يكون الترادف من وَاضِعَين، وهذا أكثر الأسباب المؤدية إليه، ومعنى ذلك أن تضع إحدى القبيلتين أحد الاسمين، وتضع الأخرى الاسم الآخر للشيء نفسه دون قصد منهما، ثم يشتهر الوضعان ويخفى الواضعان، أو يحدث التباس بين الوضعين، وفي هذا إشارة إلى كون اللغات اصطلاحية.

2. أن يقع الترادف من واضع واحد وهذا أقل من الأول، ومن فوائد هذا النوع كثرة الطرق إلى الإخبار عما في النفس.

تناول الدارسون المحدثون أسباب وقوع الترادف (وافي، 2004، ص134–135؛ وأنيس، 2002، 157–159) وأرجعوه إلى أسباب عدة يمكن أن نطرحها على الشكل الآتي:

أ . اقتباس لهجة قريش من اللهجات العربية الأخرى كثيراً من المفردات والصيغ التي لم تكن في حاجة إليها لوجود نظائرها في متنها الأصلي، وهذا يعني أن اللهجات العربية قد حدث بينها تداخل لهجي، ومن الأمثلة على ذلك كلمة(الوثب) فهي في الحميرية تعني للقعود، وفي بعض لغات العرب تعني القفر، و في هذا الصدد يروى أن أحد العرب وفد على بعض ملوك حمير فلقيه عند جبل فسلم عليه، فقال له الملك: ثب– أي اجلس– فظن الرجل أنه أمره بالقفز من الجبل، ففعل الرجل ذلك فهلك (السيوطي، 1986، ج1، ص203)، فدل ذلك على أن التداخل بين اللهجات وانتقال المفردات بينها و اختلاف معانيها أدى إلى وجود الترادف.

ب . جمع كثير من المفردات من قبل أصحاب المعاجم في معجماتهم، وتلك المفردات كانت شائعة في لهجات القبائل المختلفة ولم تكن موجودة في لهجة قريش وكان لها مرادفات في متن هذه اللهجة الأصلي.

ج . اهتم جامعو المعاجم بتدوين المفردات المهجورة إلى جانب تدوينهم للمستعملة، وكانت تلك المهجورة قد استدلت بها كلمات أخرى.

د . إن كثيراً من الكلمات التي تذكرها المعجمات على أنها مرادفة في معانيها لكلمات أخرى غير موضوعة في الأصل لهذه المعاني؛ وإنما مستعملة فيها استعمالاً مجازياً.

هـ . استخدام صفات الشيء استخدام الشيء نفسه وتناسي ما فيها الوصف مع مرور الزمن كالذي نراه مثلا في كلمة السيف حيث وصف السيف باليماني والهندي لما فيهما من سمات امتازت بها السيوف المستوردة من اليمن والهند، ثم مع مرور الزمن تُنوسيت هذه الصفات، وصارت كلمات اليماني والهندي والمهند تدل على معنى كلمة سيف.

و. من الأسباب المؤدية إلى الترادف التطور الصوتي الذي يصيب اللفظة الواحدة على ألسنة الناس مما يؤدي إلى ظهور صورة أُخرى لهذه اللفظة، فتصبح عند اللغويين من المترادفات ومن ذلك مثلاً:" هتنت" السماء، و"هتلت" ومنها– أيضاً–"الصقر" و"السقر" و" الزقر".

ز. إغفال الفوارق الدلالية بين الألفاظ التي يظن أنها مترادفة نحو: رمق ولحظ وحدج وشفن ورنا، فهذه في حقيقتها ليست مترادفات مع دلالاتها كلها على النظر؛ لأن لكل منها دلالة خاصة للنظر، فرمق يدل على النظر بمجامع العين، ولحظ يدل على النظر من جانب الأذن، وحدجه معناه رماه ببصره مع حدة، وشفن يدل على نظر المتعجب الكاره، ورنا يفيد إدامة النظر في سكون.

ح . من الأسباب–كذلك–انتقال كثير من المفردات من اللغات الأُخرى إلى اللغة العربية، وخصوصاً من اللغات السامية، والفارسية، وهذه المفردات لها نظائر في اللغة العربية.

ويذكر وافي (2004، ص135) سببين لاحتواء المعجمات العربية كثيراً من المفردات المولدة التي أدت إلى الترادف هما:

1. أن بعض الأشعار التي أخذوا منها، قد ثبت بعد التحقق منها أنها موضوعة؛ ولذلك لا نستبعد أن يكون بعض مفرداتها من اختراع الواضعين.

2. أخذهم من الكتب والصحف أدى إلى تحريف كثير من المفردات التي نقلوها؛ ويرجع ذلك إلى عدم وجود الإعجام والشكل في عصورهم، بالتالي قد كان من الممكن قراءة الكلمة الواحدة على عدة وجوه.

11. شروط حدوث الترادف عند بعض المحدثين:

يشترط بعض علماء اللغة المحدثين (أنيس، 2002، ص154-155) شروطاً لوقوع الترادف تتمثل في الآتي:

1. أن يتفق اللفظان في المعنى اتفاقاً تاماً، بحيث لو اتضح أن العربي قد يفهم من كلمة" جلس" مثلاً شيئاً لا يستفيد من كلمة " قعد" لم يكن حينها بينهما ترادف.

2. يشترط للترادف الاتحاد في البيئة اللغوية بمعنى أن تكون اللفظتان تنتميان إلى لهجة واحدة، أو مجموعة منسجمة من اللهجات.

3. من الشروط التي تؤدي إلى حدوث الترادف الاتحاد في العصر، ذلك أن المحدثين ينظرون إلى المترادفات ضمن عهد خاص وزمن معين، فمثلاً حين نبحث عن الترادف لا بد ألّا نلمسه في شعر شاعر من الجاهليين ثم نقيس كلماته بكلمات وردت في نقش قديم يرجع إلى العهود المسيحية مثلاً.

4. ألا يكون أحد اللفظين نتيجة تطور صوتي للفظ الآخر، فمثلاً حين نقارن بين "الجثل"، و"الجفل" بمعنى النمل نلحظ أن إحدى الكلمتين يمكن أن تعتبر أصلاً، والأُخرى تطورا لها

وهذه هي أهم الشروط التي اشترطها بعض الباحثين حديثاً، ممن يقولون بالترادف ولكن مع شيء من الحرص والتقيد بالشروط الموضوعة؛ ذلك أن هؤلاء المحدثين قد نفوا الاعتراف بالترادف في بعض المفردات؛ لأنها لا تعدو كونها تطوراً صوتياً حدث لها عبر الزمن، وهذا ما بينه الدكتور إبراهيم أنيس حين تحدث عن شروط الترادف وأسبابه وأردفها بعد ذلك بالتطور الصوتي من خلال عرض الصفات الصوتية للأصوات، وسنكتفي بعرض بسيط لبعض الأمثلة للتوضيح مثال ذلك (أنيس، 2002، ص160-165):

أ. الشدة والرخاوة: نحو: الهمزة والهاء في هلبت السماء القوم: مطرتهم مطراً متتابعاً، وألبت السماء: دام مطرها.

الهمزة والعين: نحو: بدأ الله الخلق: خلقهم: بدعهم.

ب. الجهر والهمس:

الدال والتاء نحو: هرد اللحم أنعم إنضاجه أو طبخه حتى يهرأ: الهَرْت الطبخ البالغ.

ج. الإطباق والاستفال:

الصاد والسين: نحو: الرِعْس: الارتعاش والانتفاض، والرِعْص: النفض.

د. نسبة الوضوح في السمع: فبعض الأصوات تتحد في الصفة، ولكنها تختلف في نسبة وضوحها في السمع، وهذه الأصوات يحل بعضها محل بعض، من ذلك الراء مع اللام، فالأولى أوضح في السمع من الثانية، وإن كان كلاهما من الأصوات المتوسطة الشبيهة بأصوات اللين، ومن أمثلة هذا النوع: رتب رتوباً: ثبت، واللّتب اللزوم والثبات.

هـ. اختلاف المجرى نحو: الشتل غلظ الأصابع: الشتن.

و. اختلاف المخرج: نحو: بتكه قطعه: بتَّه.

ز. اختلاف ترتيب الأصوات: اللجِز: اللزج، جذب: جبذ.

فهذه الأمثلة للجانب الصوتي أوردها إبراهيم أنيس ليوضح أن بعض الكلمات حُكم عليه بالترادف، وهي في حقيقة الأمر ليست بمترادفات، إنما هو تطور صوتي حدث لتلك المفردات.

12. فائدة الترادف:

ذكر السيوطي (1986، ج1، ص406) في كتابه المزهر فوائد ظاهرة الترادف التي من بينها:

1. بإمكان المتحدث أن يخبر عما يجول في نفسه باستخدام مفردات متنوعة، واستبدالها– أحياناً– بما يتماشى مع مقتضى الحال، والموقف الذي يتعرض له المتكلم.

2. التوسع في استخدام طرق الفصاحة وأساليب البلاغة في النظم والنثر؛ لأن اللفظ– أحياناً– قد لا يتناسب عند استعماله مع لفظ آخر في السجع، أو القافية مثلاً وغيرها من ضروب هذا الفن.

3. قد يكون أحد المترادفين أوضح من الآخر، وبذلك يكون في استعماله شرحاً للآخر الخفي.

هذه أبرز النقاط التي ذكرها السيوطي فيما يتعلق بأهمية الترادف وفائدته، وقد ذكرت سابقاً فائدة أُخرى تتمثل في نمو اللغة وزيادة مفرداتها، وجميع هذه الفوائد كفيلة بالقول بوجود هذه الظاهرة ومدى أهميتها، ولا حجة للمنكرين، إذ في إنكار الترادف تضييق على أهل اللغة من العامة، وعلى أدبائها وشعرائها ومبدعيها.

13. الخاتمة:

بعد هذه الدراسة تتضح أهمية الترادف في اللغة وعند مستخدميها ويمكن حصر نتائج البحث في النقاط التالية:

1. تعد ظاهرة الترادف من الظواهر التي أغنت العربية بمفردات ومعان مختلفة، وأعطت لمستعمل اللغة مساحة واسعة لاستخدام المفردات بشكل متنوع.

2. يمكن الترادف بعض مستخدمي اللغة من الخروج من بعض المواقف المحرجة لما يعانونه من عيوب صوتية.

3. انقسم رأي علماء اللغة قديماً وحديثاً حول هذه الظاهرة إلى فريقين: فريق اعترف بالظاهرة، وفريق أنكرها على الإطلاق هذا فيما يخص القدامى، أما المحدثون فقد اعترفوا بوجودها ولكن بعضهم جوزها دون شرط أو قيد، ومنهم من وضع لها قيوداً.

4. علينا أن ننظر في أسباب حدوث الترادف ولعل أهمها اختلاف اللهجات، حيث يعد الاختلاف اللهجي أساسا في حدوث الترادف.

5. تشير كل الدلائل التي وردت في البحث إلى وجود هذه الظاهرة بحيث لا يمكن إنكارها، أما فيما يتعلق بورودها في القرآن الكريم فلابد أن يكون لذلك شيء من الدقة ومزيد من البحث والاجتهاد، فللنص القرآني خصوصيته.

6. وأخيرا فإن حاجة المتكلم إلى استعمال المفردات بعضها مكان بعض هو المعيار الذي يعول عليه حول الاعتراف بوجود هذه الظاهرة، فالشاعر مثلا قد يحتاج إلى مفردة دون أخرى تؤدي المعنى نفسه؛ وذلك لإقامة الوزن أو ضبط القافية، والأمر لا يقف عند الشاعر فحسب بل يشمل كل مستخدمي اللغة، ويظل للسياق دوره في تخير المتكلم للمفردة المناسبة.

المراجع:

القرآن الكريم برواية قالون عن نافع

ابن جني، أبو الفتح عثمان (1385) الخصائص، تحقيق، محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة.

ابن فارس، أبو الحسن أحمد (1979) معجم مقاييس اللغة، تحقيق، عبد السلام هارون، دار الفكر، دون طبعة.

ابن فارس، أبو الحسين أحمد (1993) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تحقيق، الدكتور، عُمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة الأولى.

ابن منظور، محمد بن مكرم (بدون) لسان العرب، دار صادر، بيروت، دون طبعة.

الأصفهاني، أبو القاسم (بدون) المفردات في غريب القرآن، تحقيق، محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، دون طبعة.
ألمان، ستيفن (1962) دور الكلمة في اللغة، ترجمة، الدكتور، كمال بشر، القاهرة، دون طبعة.
أنيس، إبراهيم (2002) في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الثالثة.
الحطيئة، جرول بن أوس (1993) ديوانه، برواية وشرح ابن السكيت، تحقيق، الدكتور، مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى.
الزركشي، بدرالدين (بدون) البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة التراث، القاهرة، دون طبعة.
الزيادي، حاكم مالك (1980) الترادف في اللغة، دار الحرية، بغداد، دون طبعة.
السيوطي، جلال الدين (1986) المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق، محمد أحمد جاد المولى وآخرين، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، دون طبعة.
الشيخ، عبد الواحد حسن (1999) العلاقات الدلالية والتراث البلاغي العربي، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، مصر، الطبعة الأولى.
صفوت، أحمد زكي (بدون) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، المكتبة العلمية بيروت، لبنان، دون طبعة.
الضامن، حاتم صالح (1990) فقه اللغة، دون دار نشر، دون طبعة.
العسكري، أبو هلال (بدون) الفروق اللغوية، تحقيق، محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة، دون طبعة.
عكاشة، محمود (2002) الدلالة اللفظية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، دون طبعة.
عمر، أحمد مختار (1998) علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، لطبعة الأولى.
النادري، محمد أسعد (2009) فقه اللغة مناهله ومسائله، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، دون طبعة.
وافي، علي عبد الواحد (2004) فقه اللغة، نهضة مصر، الطبعة الثالثة.